(٨٧) سورة الأعلى

فى رحاب السورة الكريمة

سورة عظيمة مكية، آياتها تسع عشرة نزلت بعد سورة التكوير، تعالج باختصار بعض صفات العَلىِّ القدير، والدلائل على قدرته ووحدانيته والوحى والقرآن العظيم، والموعظة الحسنة، التى ينتفع بها أهل القلوب المحبة، ابتدأت بتنزيه الله عز وجل الذى خلق فأبدع وصوَّر فأحسن، ثم تحدثت عن الوحى والقرآن العظيم وبشَّرت الرسول الكريم بتحفيظه هذا الكتاب الخالد وتيسير حفظه عليه بحيث لا ينساه أبدا، ثم أمرت بالتذكير بالقرآن حيث يتعظ المؤمنون المتقون وختمت السورة الكريمة ببيان فوز من طهر نفسه من الذنوب والآثام وزكاها بالأعمال الصالحة، وقد سميت بسورة الأعلى حيث بدأت بالأمر بتسبيح ذات الله العلية المنزه عن كل صفات النقص والمتصف بكل صفات الكمال.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝ ﴾

معانى المفردات:

سبح اسم ربك: نزهه ومجّده　　خلق: أوجد كل شىء بقدرته

فسوَّى: بين خلقه فى الإحكام والإتقان　فهدى: وجَّه كل مخلوق إلى ما ينبغى له

أخرج المرعى: أنبت العشب رطبا غضا فجعله غثاء: يابسا هشيما كغثاء السيل
أحوى: أسود بعد الخضرة والنضارة نيسرك: نوفقك
للیسرى: للطريقة اليسرى فى كل أمر يصلى النار: يدخلها أو يقاسى حرها
أفلح: فاز بالبغية تزكى: تطهر من الكفر والمعاصى

التفسير:

﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ أى نزه يا محمد ربك العلى الكبير عن صفات النقص وعما يقوله الظالمون، مما لا يليق به سبحانه وتعالى من النقائص والقبائح وفى الحديث الشريف أنه ﷺ إذا قرأ هذه الآية قال: "سبحان ربى الأعلى"[1] ثم ذكر من أوصافه الجليلة، ومظاهر قدرته الباهرة ودلائل وحدانيته وكماله فقال ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴾ أى خلق المخلوقات جميعها فأتقن خلقها وأبدع صنعها، قال فى البحر: أى خلق كل شىء فسواه بحيث لم يأت متفاوتا، بل متناسبا على إحكام وإتقان، للدلالة على إنه صادر من عالم حكيم[2] ﴿ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ أى قدَّر فى كل شىء خواصه ومزاياه بما تجلّ عن العقول والأفهام، وهدى الإنسان لوجه الانتفاع بما أودعه فيها، وهدى الأنعام إلى مراعيها، ولو تأملت ما فى النباتات من الخواص، وما فى المعادن من المزايا والمنافع، واهتداء الإنسان لاستخراج الأدوية والعقاقير النافعة من النباتات، واستخدام المعادن فى صنع المدافع والطائرات لعلمت حكمة الله العلى القدير، الذى لولا تقديره وهدايته لكتائبهم فى دياجير الظلام كسائر الأنعام، قال المفسرون: إنما حذف المفعول لإفادة العموم أى قدَّر لكل مخلوق وحيوان ما يصلحه، فهداه إليه وعرَّفه الانتفاع به[3] ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴾ أى أنبت ما ترعاه الدواب من الحشائش والأعشاب ﴿ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴾ أى فصيره بعد الخضرة أسود باليا بعد أن كان ناضرا زاهيا، ولا يخفى ما فى المرعى من المنتقصة بعد صيرورته هشيما يابسا، فإنه يكون طعاما جيدًا من الحيوانات، "وأعطى كل شيء خلقه ثم هدى وبعد أن ذكر دلائل قدرته ووحدانيته، ذكر فضله وإنعامه على رسوله فقال: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴾ أى سنقرئك يا محمد هذا القرآن العظيم فتحفظه

---

(١) أخرجه الإمام أحمد عن ابن عباس.
(٢) البحر المحيط ٨/٤٥٨.
(٣) روح المعانى ٣٠/١٠٤.

فى صدرك ولا تنساه ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ أى لكن ما أراد الله نسخه فإنك تنساه، وفى هذه الآية معجزة له عليه الصلاة والسلام، لأنه كان أُمِّيا لا يقرأ ولا يكتب، وكان مع ذلك لا ينسى ما أقرأه جبريل عليه السلام، وكذلك يحفظ هذا الكتاب العظيم من غير دراسة ولا تكرار ولا ينساه أبدا، من أعظم البراهين على صدق نبوته ﷺ، ﴿ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴾ أى إنه سبحانه وتعالى عالم بما يجهر به العباد وما يخفونه من الأهوال والأفعال لا يخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء ﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ أى ونوفقك للشريعة السمحة البالغة اليسر، التى هى أيسر وأسهل الشرائع السماوية وهى شريعة الإسلام ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾ أى فذكر يا محمد بهذا القرآن حيث تنفع الموعظة والتذكرة، قال ابن كثير: ومن هنا يؤخذ الأدب فى نشر العلم، فلا يضعه عند غير أهله، كما قال على رضى الله عنه، وما أنت بمحدث قوما حديثا لا يبلغ عقولهم، إلا كان فتنة لبعضهم وقال: حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب على الله ورسوله؟[1] ﴿ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴾ أى ويرفضها ويبتعد عن قبول الموعظة من يخاف الله تعالى ﴿ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴾ أى ويرفضها ويبتعد عن قبول الموعظة الكافر المبالغ فى الشقاوة ﴿ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾ أى الذى يدخل نار جهنم المستعرة العظيمة الفظيعة قال الحسن: النار الكبرى نار الآخرة والصغرى نار الدنيا[2] ﴿ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ أى لا يموت فيستريح ولا يحيا الحياة الطيبة الكريمة بل هو دائم فى العذاب والشقاوة ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ أى قد فاز من طهر نفسه بالإيمان وأخلص عمله للرحمن ﴿ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴾ أى وذكر عظمة ربه وجلاله فصلى خشوعا وامتثالا لأمره ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾ أى بل تفضلون أيها الناس هذه الحياة الفانية على الآخرة الباقية والباقى خير من الفانى، قرأ ابن مسعود هذه الآية الكريمة فقال لأصحابه: أتدرون لِمَ آثرنا الحياة الدنيا على الآخرة؟ قالوا: لا، قال: لأن الدنيا أحضرت وعجل لنا بطعامها، وشرابها، وبنسائها، ولذاتها وبهجتها. وإنَّ الآخرة غُيبت وزويت عنا، فأجبنا العاجل وتركنا الأجل[3] ﴿ إِنَّ هَٰذَا

---

(١) مختصر ابن كثير ٣/٦٣٠.

(٢) البحر المحيط ٨/٤٥٩.

(٣) تفسير الخازن ٤/٢٣٦.

لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ أى إن هذه المواعظ المذكورة فى هذه السورة، مثبتة فى الصحف القديمة المنزلة على إبراهيم وموسى عليهما السلام، فهى فى ما توافقت فيه الشرائع، وسطرته الكتب السماوية، كما سطره هذا الكتاب المجيد.

الإعراب:

سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ	سبح فعل أمر مبنى على السكون، والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت، اسم مفعول به ربَّكِ مضاف إليه مجرور والكاف ضمير فى محل جر بالإضافة، الأعلى نعت مجرور بالكسرة المقدرة الذى اسم موصول نعت ثان للرب وجملة خلق صلة الموصول، فسوى الفاء عاطفة وسوى فعل ماض مبنى والفاعل ضمير مستتر والجملة معطوفة، والذى عطف أيضا على ما سبق وقدَّر فعل ماض مبنى وفاعله ضمير مستتر والجملة صلة الموصول وهدى عطف على ما سبق.
وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ	والذى معطوف على ما قبله، وجملة أخرج صلة الموصول، المرعى مفعول به منصوب بالفتحة المقدرة، فجعله الفاء عاطفة، جعله فعل ماض مبنى والهاء فى محل نصب مفعول أول، غثاء مفعول ثان منصوب، وأحوى نعت منصوب وقال الزمخشرى: ويجوز أن يكون أحوى حالا من المرعى أى أخرجه من المرعى أسود من شدة الخضرة والرَّى فجعله غثاء بعد حَوَّته[1]، سنقرئك السين حرف استقبال، نقرئك فعل مضارع مرفوع وفاعله مستتر تقديره نحن والكاف مفعول به والفاء حرف عطف ولا نافية تنسى مضارع مرفوع وعبارة أبى السعود: "سنقرئك فلا تنسى: بيان لهداية الله تعالى الخاصة برسوله ﷺ إثر بيان هداية الله العامة لكافة مخلوقاته وهى

(١) راجع إعراب القرآن الكريم وبيانه لمحى الدين الدرويش ص ٤٤٩ المجلد العاشر.

	هدايته عليه السلام لتلقى الوحى وحفظه القرأن وهدايته للناس أجمعين، إلا أداة حصر وما مفعول به تنسى والاستثناء منقطع وجملة شاء الله صلة الموصول ما، وجملة إنه يعلم الجهر وما يخفى الجملة تعليل لما قبله، إنَّ حرف توكيد ونصب والهاء ضمير فى محل نصب اسم إن، يعلم مضارع مرفوع وفاعله مستتر، الجهر مفعول به وما يخفى الواو عاطفة، ما اسم موصول مبنى فى محل نصب مفعول به، يخفى مضارع مرفوع بالضمة المقدرة والفاعل مستتر جملة يخفى صلة الموصول.
وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ	ونيسرك الواو عاطفة، نيسرك مضارع مرفوع والفاعل مستتر والكاف ضمير فى محل نصب مفعول به، لليسرى جار ومجرور متعلقان بنيسرك، فذكر الفاء هى الفصيحة إن شرطية، نفعت فعل ماض مبنى فى محل جزم فعل الشرط، والذكرى فاعل مرفوع بالضمة المقدرة، وجواب الشرط، محذوف دل عليه ما قبله، سيذكر السين حرف استقبال مَنْ اسم موصول فى محل رفع فاعل، يخشى مضارع مرفوع بالضمة المقدرة والفاعل ضمير مستتر والجملة صلة الموصول لا محل لها، ويتجنبها مضارع مرفوع بالضمة الظاهرة والهاء فى محل نصب مفعول به والجملة معطوفة على ما قبله، الأشقى فاعل مرفوع بالضمة المقدرة، الذى اسم موصول فى محل رفع نعت للأشقى وجملة يصلى لا محل لها لأنها صلة الذى وفاعل يصلى ضمير مستتر يعود على الأشقى والنار مفعول به والكبرى نعت منصوب بالفتحة المقدرة.

ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ	ثم حرف عطف مبنى لا حرف نفى، يموت مضارع مرفوع وفاعله ضمير مستتر، فيها جار ومجرور متعلقان بيموت ولا يحيى عطف على يموت والجملة معطوفة على ما سبق، قدْ حرف تحقيق مبنى على السكون، أفلح فعل ماض مبنى، مَنْ اسم موصول مبنى فى محل جر بالإضافة، فصلى الفاء عاطفة صلى فعل ماض مبنى والفاعل مستتر، بل حرف عطف مبنى على السكون، تؤثرون مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والحياة مفعول به منصوب والدنيا نعت منصوب بالفتحة المقدرة، والآخرة الواو استئنافية الآخرة مبتدأ مرفوع بالضمة المقدرة، خير خبر مرفوع وأبقى معطوف مرفوع بالضمة المقدرة.
إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ	إنَّ حرف توكيد ونصب، هذا اسم إشارة مبنى فى محل نصب اسم إنَّ اللام لام التوكيد وفى حرف جر، الصحف اسم مجرور، الأولى نعت مجرور وشبه الجملة فى محل رفع خبر إن، صحف بدل مجرور، إبراهيم مضاف إليه مجرور بالفتحة ممنوع من الصرف علم أعجمى وموسى معطوف على إبراهيم.

من ألوان البلاغة

لقد اشتملت السورة الكريمة على الكثير من صور البيان والبديع نذكر منها:

❖ الطباق فى قوله تعالى ﴿ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ وبين ﴿ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴾.

❖ الجناس فى قوله تعالى ﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ وقوله تعالى ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴾ وهو جناس اشتقاق فى كل منهما.

❖ المقابلة بين ﴿ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴾ وبين ﴿ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴾.

❖ حذف المفعول به لإفادة العموم فى قوله تعالى ﴿ خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴾ وفى قوله ﴿ قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ لأن المراد خلق كل شىء فهداه.

❖ السجع الجميل غير المتكلف فى السورة كلها.